

تحقيقات جـول

صدر وسدر

على الطريق المهجور بين مصر والشام

للاستاذ أحمد بك رمزي

«لقد أنهت مصر الحروب الصليبية وكان من الخطأ ترك الاتصال قائماً بينها وسائر بلاد الإسلام»

مؤرخ أوروبي

«أن إسرائيل سيقتصر لها أن تعيش وتسمى وتغير التاريخ وحوادث الزمن، حينما تنزل مصر عن بقية الأمم العربية؛ أي إذا عزلت القاهرة عن دمشق وبغداد، ولومعمر لا يزيد عرضه على كيلو مترين»

أحمد رمزي

١ - وردت عين سدر ووادي سدر sudr في خرائط مصلحة المساحة في الطبعة الأولى والثانية، كما وردت بالاتفاقات التي عقدها الحكومة المصرية مع شركات البترول وفي القوانين التي عرضت على البرلمان لإقرارها بواسطة الحكومة المصرية فلم يفتبه أحد من رجال مصلحة المساحة ولا رجال القانون إلى تحقيق هذا الإسم وضبطه ضبطاً علمياً يتفق مع مكانة مصر وأثرها في العالم العربي إلى أن سمح في الخريطة ٢٠٠٠٠٠٠٠ مصر المصادرة باللغة العربية فنحمد لمصلحة المساحة هذا الاهتمام.

٢ - ويظهر أن بعض الأسماء العربية الواردة بخرائط مصلحة المساحة كانت مترجمة ترجمة حرفية من اللغة الإنجليزية التي وضعت من الأصل هذه الخرائط فيها، فجاء الناقولون إلى العربية - وهم ليسوا أهل اختصاص فوضوها بأخطائها دون عودة إلى المراجع العربية ودون ضبط للأعلام والأسماء.

٣ - والذي أعلمه هو أن صيغة الاسم «صدر» لا «سدر» وجاء ذكر صدر في معجم البلدان لياقوت جزء ٣ صفحة ٣٧٥: «قلمة حراب بين القاهرة وأيلة» أي المقبة ويظهر من كتب القدماء توالي استعمال «عين سدر» و «وادي سدر» وهي واقعة

على طريق يبدأ من عيون موسى إلى عين الرويت أو «الريشة» ثم ينتهي الطريق إلى منبع وادي صدر وهو الذي كان على مرتفعه الحصن الذي أشار إليه ياقوت في معجمه وهو حصن قديم ولا تزال بقاياه مرسومة على الخرائط تحت اسم Old Tort ثم يسير الطريق منه إلى نخل.

٤ - ويظهر أن هذا الطريق - وهو يقع جنوبي طريق الحاج العام والمعروف على الخرائط - هو الذي يمر بوادي صدر وكان يستعمل للذهاب إلى المقبة علاوة على الطريق المطروق المعروف، فقد جاء في السلوك صفحة ٥٨ سنة ٥٧٠ هجرية أن صلاح الدين أقام بركة الجب وهي معروفة في شمال القاهرة ثم سار منها على صدر التي أشرنا إليها متجهاً إلى أيلة في سبعمائة فارس - وكان يقصد إخفاء حركته فقد جاء في كتاب الروضتين نقلاً عن العباد «أن صلاح الدين زحف من البركة ورحل إلى بلبليس ونزل منها جنوباً إلى صدر ثم إلى أيلة» فلم يسلك طريق الحج المتباد وإنما سلك هذا الطريق البعيد عن الأنظار والرقباء حتى يطعن إلى إخفاء حركته وهو في طريقه إلى الشام لا يقرن حملته بمامل المناجاة، وفعلنا أناخ على بصري بالشام ثم على مدينة صرخد ثم إلى الكسوة وهي من ضواحي مدينة دمشق اجابة للرغبة التي أبدت له بمد وقاة نور الدين الشهيد رحمه الله.

٥ - وأرجح أن هذا الطريق الذي لم يكن بطرق إلا نادراً هو الذي سلكه أبو الطيب الغنبي في خروجه هارباً من كافر الاخشيدى ليلة عيد الأضحى سنة ٣٥٠ هجرية. فقد أعد كل ما هو في حاجة إليه وأخذ يظهر الرغبة في المقام، وتظاهر لمن حوله من الرقباء أنه سيسلك طريق الشمال بدليل مدحه لعبد العزيز يوسف الخزامي زعيم خزاعة النازلة بلبليس بقوله:

جزى عرباً امت بلبليس ربها بممانها تقرر بذلك عيونها

فلت أنظار الرقباء بمدحهم هذا إلى طريق بلبليس فأقاموا الميون عليه هناك وكتبوا إلى عمالهم بالحرفين - الشرق والغربي - والجفار - أي سيناء - وفزة والشام وجميع البوادي حتى يقطعوا طريقه ويقبضوا عليه وأنجبه هو إلى الطريق البعيد عن الأنظار عيون موسى ووادي عين صدر فوصل إلى نخل، ودليلي على ذلك

بقاياها موجودة وفي كل حملة استعمل أحدهما طريقاً وبعد آخر
وأخذ خصمه بالمفاجأة والعمل العام.

فهل لنا أن نتساءل اليوم : واللجنة السياسية بحمامة الدول
العربية منقذة : هل نبه أحد من الناس الانظار إلى أن هذا
الركن من العالم حيوى لنا وعليه يستند تاريخنا القادم ؟ ... لا أظن
وإنما اعتقد وأجزم بأن رجال الدولة اليهودية كانوا على علم
بأهمية الطرق والمسالك وكانوا على حق في اهتمامهم بأراضي النقب
وفي وصولهم إلى خليج العقبة وأن الذي وضع خريطة فلسطين
سنة ١٩١٧ بشكائها المخروطى أى الذى يبدأ متسماً في الشمال
وينحدر ضيقاً إلى الجنوب حتى البحر الأحمر قد كان يستوحى مملكة
أورشليم الصليبيين هزت الكيان العربى والإسلامى والتي لولا أن
قدر لنا في التاريخ أمثال صلاح الدين وبيبرس لبقيت في الوجود
إلى اليوم .

٨ - أننا لا نطمح في أمثال هذه العبقرية الفذة في التاريخ
وإنما نطلب إلى الدول العربية أن تقوم جيداً أن مواجهة الحاضر
ومشاكله لا تسكنى لا يمحى الحلول المطلوبة بل أن أخطر سياسة هي
الرتجلة أو المعتمدة على الذكاء الفطرى ... الذى يرسم لنا
الديبلوماسية التي أنفناها وهي ذات العبقرية في ترتيب الدسائس بين
مصر والدول العربية والاستفادة من الأهواء والفرائز (ونقول
أن حل المشاكل الكبرى يتطلب قبل كل شيء دراسة علمية
وتوجيهاً ممتدداً على الحقائق التاريخية والجغرافية والتاريخ
العربى لمصر وللعالم العربى . فإذا كانت السياسة والاقتصاد
« صنوان » لا يفترقان ، فإن استخلاص الحقائق الكبرى من
دروس الماضى هو الذى يضح الزعماء والقادة في الصف الأول
بين زعماء العالم وتثير لهم السبيل لحل المشاكل الكبرى . اننا
نأسف أن نلقت النظر إلى هذه الحقائق ، المرة بعد المرة فتذهب سيحتنا
هباء ورحم الله أبا الطيب المتنبي الذى علمنا الطرق وجغرافية مسالك
الجزيرة فندبح صوته أيضاً حتى قال :

وما فكرت قبلك في محال ولا جريت سبى في هباء

أحمد رمزي

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولى

ورود موقع الرثنة ضمن المياه التي مر بها أبو الطيب المتنبي قبل
وصوله إلى نخل وبذلك نجح في إخفاء طريق هربه فلم يعرف له أثر
حتى قال بعض أهل البادية : « هبه سار فكيف بما أثره » وقال
بعض المصريين « إنما أقام حتى عمل طريقاً تحت الأرض »

٦ - والرثنة تشبه الرثمة : يقول عنها قاموس الكتاب
صفحة ٤٧٥ أنها عملة تزلها بنو إسرائيل واسمها مأخوذ من الرثم
الذى ينبت بالبادية . ونلاحظ أن هناك مكاناً آخر يسم الرثمة في
سيناء ، غير هذا الموقع ولا أجزم بأن الرثمة والرثنة مكان واحد
والمسألة تحتاج إلى تحقيق علمى واسع . ولكنى أميل إلى الظن بأن
الرثنة التي جاءت في ديوان أبي الطيب المتنبي هي الرثينة التي ذكرها
الأدرسي في زهرة المشتاق طبعة ليدن كمحطة في الطريق بين عجرود
المعروفة وأيلة - التي هي العقبة - وليس لدينا على الخرائط المتداولة
عند وادى صدر سوى عين رويت أو رويت وهي على المنحدر
الذى يوصل إلى عين صدر وقد تكون الرثنة هي الرثينة حرفها
النساخت وقد تكون الرثينة هي رويت .

فكان أبا الطيب المتنبي سلك طريقاً كان معروفاً بيمده عن
الرقباء . وقد ركب المهجن من القسطنطينية وأشاد بدعها ولهذا يقول :
ضربت بها التية ضرب القما وإنما لهذا وإما لذا

٧ - بين يدي كتاب صحراء سيناء الذى وضعه لورانس
مع « ليراند وولى » البريطانيين عن نتيجة أبحاثها في هذه الصحراء
وهو يتضمن معلومات أثرية وتاريخية عن المنطقة الواقعة بمد
الحدود المصرية ، لا تقل أهمية عن الكتاب الشائق الذى وضعه
الدكتور عباس مصطفى أعمار عن أهمية شبه جزيرة سيناء وفي
كل منها دراسة عميقة عن أحوال هذه المناطق ومساكنها وكل
منها يكمل الآخر ، وليس لي ما أزيد على تقديري للكتابين سوى
أشادى بعبقرية رجلين عظيمين الأول : صلاح الدين الأيوبي والثانى :
الظاهر بيبرس . فلقد كان لسلك منها الفضل الذى لا ينكر في
فهم استراتيجية الحروب الصليبية كما يفهمها وجل عبقرى فذ ،
ففي كل مرحلة ومفترق طرق أقيمت الحصون والقلاع التي لا تزال